(٦٥)

"سُعار المجد"

لم يكن ينتهى من حوار تليفزيونى حتى يبدأ حوارًا إذاعيًا، ولم يكن يفرغ من حديثٍ صحفى حتى يبدأ مقابلة هامة مع أحد المسئولين الكبار. كان يومه كله مليئًا بكلامٍ لا ينفد، فالجميع ملتفون حوله يتهافتون لسماع كلامه حتى لوكان أغلبه قد كرره مرارًا وتكرارًا، ولكن حديثه الشيق لم يترك أية مساحة للملل أو للفتور، كما أن شخصيته الجذابة كانت تجبر الجميع على الإنصات والتركيز.

ومضت الأيام والسنوات والأضواء تزداد بلا انقطاع، حتى تغيرت الأحوال وتبدلت الأوضاع، فانحسرت الأضواء وخفت بريقها وضجيجها، وندرت اللقاءات تعبيرًا عن قلة الاهتمام بتلك الشخصية الفذة التى عشقت الكاميرات وأدمنت المقابلات والحوارات التى تلقى فيها بدلوها فى كل الأمور برؤية ثاقبة ونافذة لا يجوز التعقيب عليها أو نقدها وتفنيدها.

وكشأن كل إدمان يتملك من الإنسان، فتقهره العادة وتسيطر عليه فى إذلال، أراد صاحبنا المشهور أن يظل على حاله من الظهور والتألق والتأنق فلا تغادره الكاميرات أو تعرض عنه الميكروفونات إلا وهو ملقىً على جنبه مدفونًا فى قبره، لذا قرَّر أن يكون له قبْر فخم ذو بناءٍ ضخم ليتناسب مع ما أوصى به من جنازات عديدة تستوعب الآلاف الكثيرة التى سترافقه إلى مثواه الأخير،

والتى للأسف ستغادر سريعًا مقبرته الأنيقة مع بقية أهله وأبنائه، لينغمس كلٌ فى حياته لعبًا ولهوًا، أو تعلمًا وتعليمًا وعملاً، أو جمعًا لمالٍ، أو تحصيلاً لشهرة، أو استحواذًا لنفوذٍ أو استئثارًا بسلطة.

غادر الجميع لتنحسر الأضواء بلا رجعة، وتُغلق جميع الميكروفونات بلا عودة، فتذهب الشهرة التى كانت تسعده، وينطفئ نور المجد الذى طالما سعى إليه، ولا يبقى لصاحبنا أى شيء يصطحبه معه فى نومته العميقة داخل مقبرته الأنيقة سوى أعماله الخالصة من طلب الدنيا بمجدها وشهرتها، ومالها وزينتها، ونفوذها وعِزتها. إنه عمله وحده الذى سيرافقه بعد رحيله، والذى سيمكث بعده فى الأرض إن كان نافعًا لينتفع به من أراد الانتفاع، ويستفيد من ثمرته كل محتاج.